

# مقدمة

لفهيد العالم الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق

أستاذ الفلسفة الإسلامية بالجامعة المصرية

للهود مُعظم الفضل في تعريف المسيحيين بالفلسفة الإسلامية في القرون الوسطى .

وفي ذلك يقول جيوم تيوفيل تمان المتوفى سنة ١٨١٩ في كتابه « المختصر في تاريخ الفلسفة » :

( أهم من حمل مذاهب العرب الفلسفية إلى المسيحيين هم اليهود نقلوها من بلاد الأندلس حيث كانت لهم منصرفه بقوة إلى مدارس العالم . على أن اليهود أنفسهم ساهموا بقسط ظاهر في عالم العلم ونشأ فيهم غير واحد من ذوى العقول الفلسفية ؛ منهم الخبر موسى بن ميمون الذى وُلد بقرطبة عام ١١٣٩<sup>(١)</sup> وتخرّج بدروس ابن طفيل وابن رشد ، ودرس بنفسه كتب أرسطو ومن أجل ذلك كان ظنينا لدى المتعصبين من أهل ملته وقد تعقبوه بحقدهم حتى أدركه الموت سنة ١٢٠٥ ب . م .

وفي كتابه المسمى « دلالة الحائرين » :

فحات العقل المسدد البصير ، تعرف ذلك في شرحه لعقائد الدين اليهودى ، وفيما يتضمنه كتابه من أمثال حكيمية متينة .

(١) المشهور أن ابن ميمون ولد سنة ١١٣٥ وفي كتاب « تاريخ العرب » تأليف هيار مايفاق لول تمان . ( راجع Histoire des Arabes par Clement Huart. Tome. II. Paris. 1913. p. 377.)

وعلى الرغم من تمسكه بالأرسطاطاليسية العربية فهو يضع جملة من دعاوى هذه الفلسفة موضع الرد بما يثير حولها من شكوك ، ومن أمثلة ذلك مسألة العقول الفلكية ، ومسألة العقل الفعال المتصرف في العالم .

وعلى الجملة فقد كان اليهود في القرنين الثاني عشر والثالث عشر سفراء بين عرب الأندلس وبين الغربيين بما ترجوا من كتب كثيرة عربية إلى لغتهم العبرية التي كان الغربيون أعرف بها . ونقلت نفس هذه الكتب إلى اللغة اللاتينية في تراجم أكثرها مشوهة جداً<sup>(١)</sup> .

وفي هذا القول بيان للصلة الوثيقة بين فلسفة اليهود في القرون الوسطى . وبين الفلسفة الإسلامية . وظاهر أن درس هذه الحركة الفلسفية اليهودية ورجالها لازم للإحاطة بتاريخ الفلسفة الإسلامية .

وأبو عمران موسى بن ميمون على الخصوص أجدر بالعناية لأنه أعظم فلاسفة اليهود في تلك العصور شأنًا — كما يقول فويته في كتابه « تاريخ الفلسفة »<sup>(٢)</sup> ، ولأنه تخرج بدروس الحكيمين الأندلسيين الكبيرين ابن طفيل وابن رشد . ثم هو قد عرض في بعض كتبه لنقد مذاهب للفلاسفة الإسلاميين .

بل إنني ممن يجعلون ابن ميمون وإخوانه من فلاسفة الإسلام . وقد قلت في كلمة ألقيتها في حفلة ابن ميمون بدار الأوبرا في أول أبريل سنة ١٩٣٥ مانصه : « أبو عمران موسى بن ميمون فيلسوف من فلاسفة الإسلام ؛ فإن المشتغلين

---

Tennemann : Manuel de l'Histoire de la Philosophie. Traduit (١)  
de l'Allemand : par V. Cousin. 2<sup>me</sup> Edition. Tome I. 1839. p. 364—365.  
Histoire de la Philosophie par Alfred Fouillée. Paris. 1926. (٢)  
p. 206.

في ظل الإسلام بذلك اللون الخاص من ألوان البحث النظري مسلمين وغير مسلمين  
يسمون منذ أزمان فلاسفة الإسلام .

وتسمى فلسفتهم فلسفة إسلامية بمعنى أنها نبتت في بلاد الإسلام وفي ظل  
دولته ، وتميزت ببعض الخصائص من غير نظر إلى دين أصحابها ولا جنسهم  
ولا لغتهم ويقول الشهرستاني في كتاب « الملل والنحل » :

(التأخرون من فلاسفة الإسلام مثل يعقوب بن إسحاق الكندي وحنين  
ابن إسحاق ... الخ)

وإذا كان حنين بن إسحاق المسيحي من فلاسفة الإسلام فإنه لا وجه  
للتفرقة بينه وبين موسى بن ميمون الإسرائيلي .

وابن ميمون من فلاسفة العرب على رأى من يسمي الفلسفة الإسلامية  
فلسفة عربية نسبة إلى العرب بمعنى اصطلاحى يشمل جميع الأمم والشعوب  
الساكين في الممالك الإسلامية المستخدمين ل لغة العربية في أكثر تآليفهم العلمية  
لتشاركتهم في لغة كتب العلم ، وهذا هو الرأى الذى اختاره الأستاذ « كارلو نالينيو »  
في محاضراته في علم الفلك وتاريخه عند العرب في القرون الوسطى (١) .

فابن ميمون من فلاسفة العرب وهو من فلاسفة الإسلام » .

ومن عجب أن ابن ميمون ، وهذا شأنه ، لم تنشر كتبه بالعربية ولا درست  
حياته ، ولا مذهبها ، ولا نزال نلتبس أخباره وآثاره في لغة غير لغتنا .

ويسرنا أن ينهض الدكتور إسرائيل ولغفنون لتدارك هذا النقص فيؤلف  
بالعربية كتاباً جامعاً في حياة موسى بن ميمون وآثاره .

(١) محاضرات في علم الفلك وتاريخه عند العرب في القرون الوسطى ج ١

## تَصْدِيرٌ

كنت معزماً منذ أن وجهت غناتي للكتابة في تاريخ اليهود في العصور الإسلامية أن أقرّد موسى بن ميمون بمؤلف خاص أبحث فيه سيرة حياته وأفضل الكلام عن مصنفاته بعد أن أتجرى الأخبار التي سبقت زمن وجوده منذ انبثاق فجر الإسلام كي تكون سلسلة بحثي في هذا الموضوع متدرّجة تدرّجاً تأريخياً يسير الزمن ويتابع الحوادث .

ولكن حدث ما لم يكن في حسابي إذ أخذت الهيئات اليهودية في أرجاء المعمورة تتداعى للاحتفال بذكرى موسى بن ميمون وتستعد لتجديد اسمه بمناسبة مرور ثمانمائة عام على ميلاده ، وكان من جراء ذلك أن انهالت علينا الرسائل من جهات متعددة يطلب فيها مرسلوها البيان عن موضوعات مختلفة تتعاقب بتاريخ موسى بن ميمون في الديار المصرية ، وكان بين الذين رغبوا إلى أن أعنى بتاريخ موسى بن ميمون وألحوا عليّ أن أوجه نظري للبحث في تراثه الكبير ومؤلفاته الكثيرة صاحب السعادة يوسف قطاوي باشا رئيس الطائفة الإسرائيلية بمصر ذلك الذي عهد الناس فيه رجاحة العقل والميل إلى نشر الثقافة والعرفان ؛ فخصت للظروف المباركة التي أتاحت لي الفرصة للمبادرة بالبحث في تاريخ عصر موسى بن ميمون والتنقيب عن آثاره .

وليس عجيباً أن تهض الهيئات اليهودية في نواحي المعمورة للاحتفال بذكرى موسى بن ميمون فهو من الأفضال الفحول الذين أثروا في الحياة العقلية الإسرائيلية

تأثيراً بعيد النور لا يزال باقياً قوياً إلى يومنا هذا .

ولسنا نعلم رجلاً آخر من أبناء جلدتنا غير ابن ميمون قد تأثر بالحضارة الإسلامية تأثراً بالغ الحد حتى بدت آثاره وظهرت صبغته في مدوناته من مصنفات كبيرة ورسائل صغيرة .

ولا بدع فقد نشأ في بيئة عربية واتصل بكثير من عطاء العرب في الأندلس وبلاد المغرب ومصر ، ومثل هذا الاحتكاك يجب أن يحسب حسابه في أثناء قراءة تراث ابن ميمون .

ومما يؤسف له أشد الأسف أن مصنفاته لم تنتشر بين الناطقين بالضاد الانتشار الجدير به مثلها ، وذلك يرجع إلى أن كثيراً من مدوناته لا يفهم فهماً صحيحاً إلا إذا كان القارئ واسع الاطلاع كثير البحث في الآداب العبرية ، وإلى أن مؤلفات ابن ميمون العربية كانت مدونة بالقلم العبرى كما كان يفعل أغلب علماء اليهود في الأندلس ومصر .

ولا بد لي من الاعتراف بأننى قد عانيت متاعب جمة في أثناء تدوينى هذا الكتاب لأن كثيرين من المؤرخين اليهود وغيرهم كتبوا عن ابن ميمون باغات مختلفة رسائل كثيرة منها ما هو قديم ومنها ما هو متأخر وحديث ، ولا شك أن الباحث في تاريخ رجل كهذا لا يسهه أن يغض الطرف عن شيء يتعلق به أو يهمل في الاطلاع على أمر كتب عنه مهما كان يسيراً .

وقد حُيِّلَ إلى في بدء الأمر أنه لم يبق لى مجال للبحث في هذا الموضوع والإتيان فيه بشيء جديد لكثرة من كتبوا فيه وعنوا به مدى عدة قرون ؛ ولكن بعد البحث والإمعان في النظر بدت لى نواح جمة من سيرة حياته ، وعلى الأخص ما يتصل بعلاقته مع فلاسفة المسلمين ، لا تزال غامضة تحتاج إلى

بجهود عظيم لكشفها وإيضاحها ، وللوقوف على مبلغ تأثيره بمن سبقوه من العلماء والفلاسفة .

وقد عنيت بذكر المصادر والمراجع في ذيل كل صفحة من صفحات الكتاب كما فعلت في كتيبي السابقة لأنى أعد ذلك الإهمال الذى يقع فيه أكثر المؤلفين للكتب العلمية باللغة العربية بعدم ذكر المصادر التى استقوا منها معلوماتهم نقصاً علمياً فاحشاً يحط من قيمة مادونوا ، فوق ما لذلك من الصلة بناحية خلقية من الأخلاق الفردية أو العامة .

وهناك مؤلفات كثيرة تبحث فى موسى بن ميمون أو تشير إليه لم أنقل منها شيئاً ، إما لأن مؤلفيها من التأخرين الذين لم يفعلوا شيئاً سوى أنهم رووا ما قاله الذين سبقوهم ، أو لأنهم بحثوا فى موضوعات لم أجد حاجة لأن أنقل عنهم فيها شيئاً . وقد نشأ عن ذلك أنى أهملت ذكر رسائل كثيرة تتعلق بموضوعنا فأثرت أن أضع باباً فى نهاية الكتاب أذكر فيه أسماء كل مادون موسى وعن موسى فى فهرس مفصل أرجو أن يكون ذا فائدة لمن يريد الوقوف على جميع المصادر والمراجع .

أما الفصل الأول الذى يشتمل على سيرة حياة ابن ميمون فقد عنيت به عناية بالغة ، وقد وضعت نصب عيني أن أقف على تاريخ حياته من ناحية وعلى حوادث العصور المتصلة باليهود عامة وفى مصر خاصة من ناحية أخرى ، وأعتقد أن الباحث يجد فيما أوردت من المعلومات عن موسى بن ميمون بمصر ما يساعده على البحث فى نواح أخرى من حياة اليهود فى القرن الثانى عشر ب . م . بمصر الفسطاط .

على أنى قصدت فى الباب الثانى إلى الإيجاز لأنه يبحث فى مصنفات موسى

ابن ميمون العبرية والدينية حتى لا يزال القارىء الذى لم يتتقف بالثقافة اليهودية ولم يلم الإلمام الكافى بعلم التشريع الإسرائيلى وما يتصل به .

أما الباب الثالث فهو أكبر أبواب الكتاب لأنه يبحث فى فلسفة ابن ميمون وفيما أخذه عن فلاسفة المسلمين فهو يتناول موضوعات ذات خطر عظيم ؛ إذ فيه يتعرض لحل تلك المشكلات الفلسفية والدينية التى كانت تشغل بال كل مفكر وباحث فى غضون القرون الوسطى ، وهو يعلن بجرأة وصراحة آراء ونظريات لم تكن البيئات الدينية الإسرائيلىة لتقبلها أو ترضى بالتصريح بها وتعرض بالنقد الدقيق للمتكلمين ولرجال الفرق من المعتزلة والأشعرية ولشيخ الفلاسفة أرسطو ، وقد نقلت فى هذا الباب نصوصاً كثيرة من كتابه دلالة الحائرين بعبارة الفيلسوف نفسها ولم أغير شيئاً من ألفاظه إلا فى مواطن قليلة جداً<sup>(١)</sup> وقد ترجمت الآيات العبرية والنصوص المنقولة من المشنا والتلمود إلى العربية ، وإني لأود أن ينطبع كتاب دلالة الحائرين كله بحروف عربية طبعة محررة مصححة حتى تكون أجزاءه الثلاثة مبسطة أمام القارىء العربى الحكيم الذى يجد فيه متعة فكرية من ناحية ومصدراً من أهم المصادر لإدراك فلسفة اليهود فى إبان العصور الوسطى من ناحية أخرى .

وكذلك قد أطلت الكلام فى الباب الرابع الذى يتضمن تحليل رسائل ابن ميمون الطبية التى ألفت باللغة العربية ودونت بحروف عبرية ، وقد فعات ذلك لألفت إليها نظر أطباء العرب فى البلدان العربية راجياً أن يعنوا بها ويعملوا

---

(١) ولما كانت نصوص دلالة الحائرين التى بين أيدينا من طبع العلامة سليمان موناك لا تخلو من تحريف وإلهام فلا بد أن يكون قد وقع فى بعض ما سردنا من نظريات الفيلسوف شيء من الغموض .

على جمعها ونشرها بنحرف عربية لأنها من أهم رسائل الطب العربي في القرون الوسطى ولأنها تشتمل على نظريات يصح أن يعمل بها الأطباء الآن كما صرخ بذلك بعض الأطباء من العلماء المستشرقين .

\*\*\*

هذا وإنى لأتمنى من صميم قواذى أن يكون كتابنا خير مرشد للقارى العربى المستنير الذى يريد أن يقف على دقائق التفكير الإسرائيلى فى غضون العصور الوسطى ، أو الذى يريد أن يتابع مبلغ تأثير الحضارة الإسلامية ومدى انتشار الفلسفة العربية ليس فى البيئات الإسلامية فحسب ؛ بل فى الجمادير اليهودية والمسيحية أيضاً .

اسرائيل ولفسوره

« أبو ذؤب »

تحريراً فى ٣٠ من شهر يونيو سنة ١٩٣٦ .